

الفصل الثالث الملائكة

تمهيد:

إن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد، لا يتم الإيمان إلا به، والملائكة من عوالم الغيب التي امتدح الله المؤمنين بها، تصديقاً لخبر الله سبحانه وإخبار رسوله ﷺ، وقد بين الله ﷻ في كتابه وسنة نبيه هذا الموضوع بحيث أصبح - عند من اطلع على هذه النصوص - الإيمان بها واضحاً، وليس فكرة غامضة، وهذا ما يعمق الإيمان ويرسخه، فإن المعرفة التفصيلية أقوى وأثبت من المعرفة الإجمالية.

وبين الله ﷻ الانحراف الذي وقع فيه الناس في اعتقادهم في الملائكة منذ القديم فهناك من عبدهم، وهناك من ظن أنهم بنات الله، وأما الفلاسفة فإنهم يرون أن الملائكة هم الأفلاك التي نراها في الفضاء وبعضهم أنكر وجودها، وأما اليهود فعادوا بعضهم ووصفوا الملائكة بأنهم يشربون ويأكلون^(١).

كما ذكرت التوراة المحرفة في سفر التكوين وبعض أسفارهم أن الملائكة لا تأكل ولا تشرب واضطرب أمرهم في هذا الشأن واستزلهم الشيطان، وتصور التوراة جبريل ﷻ بأنه شيطان - لعنة الله على اليهود - يصنع الغواية، ويغوي الأنبياء!!

قالت التوراة المحرفة: (قد رأيت الرب جالساً على كرسيه، وكل جند السماء وقوف لديه، عن يمينه وعن يساره فقال الرب: من يغوي آخاب فيصعد ويسقط في رامون جلعاد، فقال: هذا هكذا وقال: ذاك هكذا، ثم خرج الروح - يعني جبريل - ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويته، وقال له الرب: بماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح

(١) الإسلام في مواجهة الاستشراق، عبد العظيم المطعني، (١٩٥).

كذب في أفواه جميع أنبيائه فقال: إنك تغويه وتقتدر؟ فاخرج وافعل هكذا^(١).

يا سبحان الله يجعلون جبريل روح كذب في أفواه جميع أنبياء آخاب والرب يشجعه على ذلك!! وبذلك اتضحت مسالك الناس في اعتقادهم في الملائكة بين منكر لها وهم الملاحدة، وبين متصور لها بأفلاك وأوهام وهم الفلاسفة، وبين زاعم بأنها بنات الله وعبودها من دون الله وهم مشركو العرب.

وجاء القرآن ليبين منهج الوسطية في هذا الركن من العقائد بما ينفع الناس ويدلهم على الصراط المستقيم، الذي هو الوسطية في هذا الدين وجاء القرآن الكريم موضحاً ما ينفع الناس ويصحح تصوراتهم وأفكارهم ومعتقدهم في قضايا الاعتقاد وغيرها. إن المسلم يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها. ولا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف^(٢).

قال تعالى:

﴿أَمَّا أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْمَعِيدُ ﴿٢٨٥﴾﴾
(البقرة: ٢٨٥).

وفي الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأل جبريل عليه السلام عن الإيمان قال ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٣).

فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه أدنى شك، ومن هنا كان إنكار وجودهم كفرأً بنص القرآن الكريم، فقد قال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ءَأَلْكَتِبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رُسُلِهِ ءَأَلْكَتِبِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ

(١) سفر التكوين: الإصحاح (١٨) الفقرات (١ - ٨).

(٢) انظر: الإيمان لمحمد نعيم ياسين (٤٨).

(٣) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل (١/١٤٠).

يَاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ (النساء: ١٣٦).

والذي يجمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تكلمت عن الملائكة وأوصافهم وأعمالهم وأحوالهم يلاحظ: أنها تناولت في الغالب ما بين علاقتهم بالخالق سبحانه وبالكون والإنسان، فعرفنا سبحانه من ذلك على ما ينفعنا في تطهير عقيدتنا، وتزكية قلوبنا وتصحيح أعمالنا.

وأما حقيقة الملائكة، وكيف خلقهم، وتفصيلات أحوالهم، فقد استأثر سبحانه بها، وهذا من وسطية القرآن وحكمة الرحمن حيث ﷺ يعرف الناس في حدود ما يحتاجون إليه، ويصلح أحوالهم في المعاش والمعاد، وما تطيقه عقولهم فالله ﷻ لم يطلعنا على جميع المغيبات، سواء منها ما تعلق بجلاله وصفاته وأسمائه وما تعلق بمخلوقاته الغيبية، والمؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الخالق مجملًا أو مفصلًا، ولا يزيد على ذلك ولا ينقص منه ولا يتكلف البحث عن ما لا ينفعه ولا يخوض فيه^(١).

المبحث الأول

صفات الملائكة الخلقية

إن الخالق ﷻ لم يخبرنا من صفاتهم الخلقية إلا النزر القليل، فأخبرنا سبحانه أنهم خلقوا قبل آدم، إذ ورد في القرآن أن الله أخبرهم بأنه سيخلق الإنسان، ويجعله في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠).

وأما المادة التي خلقوا منها، فقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الله خلقهم من نور، فقد أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»^(٢) وتدل النصوص في مجموعها على أن الملائكة مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية، وأنهم ليسوا كالبشر فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، ولا يتزاوجون مطهرون من

(١) الإيمان: لمحمد نعيم ياسين (٤٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب أحاديث متفرقة (٤/٢٢٩٤).

الشهوات الحيوانية، ومنزهون عن الآثام والخطايا، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية، التي يتصف بها ابن آدم^(١).

أ - لهم القدرة على التشكل:

غير أن لهم القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر بإذن الله تعالى، كما أخبر الله ﷺ عن جبريل عليه السلام أنه جاء مريم في صورة بشرية، فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ﴾ (مريم: ١٦-١٧).

وفي حديث جبريل المشهور، حين جاء يعلم الصحابة معنى الإسلام والإيمان، والإحسان وأشراف الساعة، ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه جاء على هيئة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، وأنه جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم شرع في السؤال^(٢).

ب - لهم أجنحة:

ومن صفاتهم الخلقية التي أخبرنا الله بها أنه جعل لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها، فقال سبحانه: ﴿الْمَلٰٓئِكَةُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَاعِلِ الْمَلٰٓئِكَةَ رُٓسُلًا اُولٰٓئِكَ اُجْنَحُوْا مَتَّوٰٓئِفًا وَرَبِّعُ رُبَّيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَآءُ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝﴾ (فاطر: ١) هذا ما أخبرنا به الله ﷻ عن الملائكة من حيث خلقتها، ونؤمن به كما جاء ولا نسأل عن غيره ولو كان في التفصيل نفع لعباد الله لما حجب عنهم معرفته، فهو اللطيف الرحيم بهم، يعلمهم الحق والخير، وهذا من حكمة القرآن وهدايته إلى الصراط المستقيم ووسطيته في الأمور.

المبحث الثاني

علاقتهم مع الله والإنسان، والكون، وعددهم

أ - علاقتهم مع الله:

فهي علاقة العبودية الخالصة، والطاعة والامتثال، والخضوع المطلق لأوامره ﷻ،

(١) شرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر (١١).

(٢) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، (١٤/٢).

لا ينتسبون إليه سبحانه إلا بهذه النسبة، فهم ليسوا آلهة من دونه سبحانه، ولا ذرية له، ولا بنات كما قال المشركون من قبل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْتَفْتُونَہُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِہِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيہِم وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشِيَتِيہِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (الأنبياء: ٢٦-٢٨) وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (النحل: ٥٠) وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوُّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾﴾ (التحريم: ٦).

فهم خلق من مخلوقات الله الكثيرة يطيعونه سبحانه ولا يقدرّون على شيء من تلقاء أنفسهم، وهم لا يستطيعون أن يقترحوا على الله شيئاً بفضل قوتهم، وهم منقطعون دائماً لعبادة الله وطاعة أمره. قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا لِمَ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (الصافات: ١٦٤-١٦٦).

وإذا كانت هذه حقيقة أمرهم، فقد انحرف عن الصراط المستقيم ووقع في الشرك بالله من عبد أو استعان بالملائكة أو اعتقد أن لهم من الأمر شيء!

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران: ٨٥).

ب - علاقة الملائكة بالكون والإنسان:

دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه، وكّل بالشمس والقمر ملائكة، وبالأفلاك ملائكة، وبالجبال ملائكة، وبالسحاب ملائكة، وبالمطر ملائكة، وبالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، وبالموت ملائكة ووكل بكل عبد ملائكة يحفظونه ووكل بكل مخلوق، وبكل حوادث الكون وظواهره ملائكة^(١).

وهذا لا ينافي ما يلاحظ في الكون من قوانين وأسباب يرتبط بعضها ببعض؛ لأن هذه القوانين والأسباب إنما هي مخلوقات من مخلوقات الله، والملائكة موكلة بها أيضاً، وموكلة برعايتها، كما ترعى المخلوقات الأخرى، ولولا إرادة الله في حفظ هذه

(١) الإيمان: لمحمد نعيم ياسين (٥٥).

الأسباب والقوانين، ولولا قدرته في تسخير الملائكة للحفاظ عليها، فإن العقل لا يستلزم أبداً بقاءها على هذه الآماد الطويلة في انتظامها وتناسقها^(١).

وأما الإنسان فيدخل بحياته الفطرية في تلك الرعاية التي وكل الله سبحانه الملائكة بها؛ لأنه مخلوق من مخلوقات الله في الكون بل هو المخلوق الذي سخر الله له ما في الكون كله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَ وَيَبْتَاطِنُهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ (لقمان: ٢٠).

وفوق هذا فإن للملائكة أعمالاً أخرى في حياة الإنسان الإرادية هدفها - كما حده الله لهم - هداية البشر وإسعادهم ومساعدتهم على عبادة الله، وعونهم على اختيار الهدى والصالح واجتناب الشر والفساد والضلال.

فهم الذين اختارهم رب العالمين لإيصال هُدهاه إلى أهل الأرض عن طريق رسله الكرام والملك المختار لهذه المهمة هو جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا لِتَنزِيلِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ ﴿١٩٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤).

كما أخبرنا ﷺ أنه سخرهم للدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ (غافر: ٧ - ٩).

وهم يشجعون العبد على طاعة ربه، وعبادته ويحثونه بالذكر والقرآن، ويحثونه على العلم والخير، ويحضرون صلاته وقراءته وفي ذلك كله أحاديث صحيحة.

وهم أيضاً يثبتون العبد على العمل الصالح، وخاصة الجهاد في سبيل الله تعالى، كما قال تعالى:

(١) الإيمان: لمحمد نعيم ياسين (٥٥).

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوَقَّ الْأَعْنَاقِ وَصِرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ (الأنفال: ١٢).

ومن أعمالهم التي أخبرنا عنها رب العالمين مما له أثر عظيم في تقويم حياة العباد وحفظهم من المعصية والشر، ما وكل إليهم من مراقبة أعمال العباد وكتابتها بعد إحصائها. فقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَرْتَسُونَ بِهِ نَفْسَهُ وَمَنْ أَرْبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ إذ يَتَلَقَّى الْمَلَائِكَةَ مِنَ الْعَمِيمِ وَمَنْ السَّمَاءِ فَمِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِينٌ ﴿١٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٥﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الانفطار: ١٥-١٦). وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (الزخرف: ٨٥).

وقد وجدت كلاماً نفسياً جامعاً لابن القيم في كتابة إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان) عن علاقة الملائكة بالإنسان. فقال: (والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره، لهم وله شأن آخر: فإنهم موكلون بتخليقه ونقله من طور إلى طور، وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه وعمله، وأجله وشقاوته، وسعادته وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونهم إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته ومعلموه وناصره، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله في منامه وعند موته ويوم بعثته، وهم الذين يزهّدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته، فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده تنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم وتصعد إليه بالأمر)^(١).

(١) انظر: إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، (٢/١٢٥).

وكل الذي قاله ابن القيم رحمته الله استنبطه من كتاب الله وما صح من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ج - عدد الملائكة:

وهم كثير لا يحصي عددهم إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَعْدَاءَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا أَعْدَاءَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرَدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيَّانَا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ ﴿٣١﴾ (المدثر: ٣١).

وهكذا منهج القرآن في بيان حقيقة الملائكة، فيه ملامح الوسطية بعيداً عن الغلو والإفراط والتفريط والمطلوب من المؤمن أن يؤمن بالملائكة إيماناً تفصيلياً وإجمالياً، فيجب عليه الإيمان بالملائكة التي وردت أسماءهم في الكتاب أو السنة بالتفصيل ومن هؤلاء رؤسائهم الثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل^(١).

وجبريل هو الملك الموكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح وقد ورد ذكره هو وميكائيل في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَايِهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ (البقرة: ٩٧ - ٩٨).

وجبريل عليه السلام عادته اليهود ظلماً وعدواناً وانتكاساً وبعداً عن الصراط المستقيم، أما الفلاسفة فأنكروا الملائكة جملة. وقد أثنى الله سبحانه عليه في القرآن أحسن الثناء ووصفه بأجمل الصفات، قال تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحُتِّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ (التكوير: ١٥ - ٢١) وقال تعالى في وصفه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرْقٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ (النجم: ٥ - ٦).

وأما ميكائيل فهو الملك الموكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان^(٢)

(١) الكواشف الجليلة عن معاني الوسطية (٣٦).

(٢) انظر: أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب.

وأما إسرافيل فهو الملك الموكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم^(١) ومن الملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَأَدَاؤُا بِمَلَكِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْكَ رَبُّكَ قَالِ إِنَّكَ مَنكُوتٌ ﴿٧٧﴾﴾ (الزخرف: ٧٧) فهو لاء وغيرهم من ورد ذكر أسمائهم في أحاديث ثبتت صحتها يجب الإيمان بهم، وبما نيظ بهم من الوظائف والأعمال، وأما الملائكة الذين لم يرد ذكرهم، فيجب أن نؤمن بهم بصورة إجمالية، ونؤمن بما ذكر من أصنافهم وأفعالهم في القرآن والسنة فنؤمن بالكرام الكاتبين الذين جعلهم الله علينا حافظين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٥﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١٦﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾ (الانفطار: ١٥-١٦-١٧).

كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١) وذكرت بعض كتب التفسير أنهم اثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من أمامه وواحد من ورائه، فهو بين أربعة ملائكة.

وروى الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، لكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»^(٢).

ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ (السجدة: ١١) ولم يصرح القرآن والسنة النبوية باسمه، وجاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل^(٣) فالله أعلم.

ونؤمن بحملة العرش، الذين أخبر عنهم الله في القرآن فقال سبحانه: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ أَرْجَائِهِمْ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مِّنِّيَّةٌ ﴿٧﴾﴾ (الحاقة: ١٧).

ونؤمن كذلك بالملائكة الموكلين بالنار، أعادنا الله منها، وهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحْضَرُوا عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ (غافر: ٤٩) قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمُ

(١) إغاثة اللفهان (٢/١٢٢).

(٢) مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان (٤/٢٦١٧).

(٣) أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (١٤).

نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿التحریم: ٦﴾ وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكُوتًا ﴿المدثر: ٣٠-٣١﴾.

ونؤمن أيضاً بالملائكة الموكلين بالجنان الذين يهيئون الضيافة لساكنيها، من ملابس ومآكل ومشارب ومصنوعات وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وإذا أردت أن تعرف ما صح عن رسول الله ﷺ عن الملائكة فيمكنك أن ترجع إلى صحيح البخاري.

وبذلك يكون القرآن الكريم قد رسم لنا منهج الوسطية في إيماننا بالملائكة، وهذا يبعدنا عن الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي.

وبهذا المعتقد يكون المسلم على منهج الاستقامة الذي أمر الله به وعلى الصراط المستقيم، فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله، وشهادتهم على كل ما يصدر عنه، يستحي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه ولا يعصيه، لا في العلانية ولا في السر، إذ كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه.

وإيمانه بالملائكة الكرام يكسبه الصبر على مواصلة الجهاد في سبيل الله وعدم اليأس، والشعور بالأنس والطمأنينة التي هي من لوازم الإيمان بالملائكة وما أخبر الله من أفعالها وأحوالها، وبهذا يتضح لنا أن من نعم الله علينا خلقه للملائكة وإخباره لنا عما ينفعنا في معتقدنا في هذه المخلوقات الطائعة العابدة لله ﷻ.

وأسأل الله تعالى أن تكون صورة الاعتقاد في الملائكة قد اتضحت ملامحها من استقامة على الطريق وسلامة في التصور وعمق في المنهج وحكمة في خلقها واعتدال في وضعها وعدل في حقيقتها بعيدة عن الغلو والإفراط والتفريط والإنكار.
